

دكتور فؤاد بولس

قيثارة حب

بقلم

دكتور فؤاد بولس



دار الثقافة

طبعة اولى

قيثارة حب
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٧٤٦ ط١/١-١/٩٧
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٧٤٢/ ٩٨
ISBN 977 - 213 - 420- 9
طبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف : سها ناجى

إهـــداء

إلى القيثارة الذهبية
الراحـــل الكريـــم
الدكتور القس صموئيل حبيب

مؤسس الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، الذي عزف بحياته أعذب وأرق ألحان الحب، إلى الملايين من المهمشين والمحرومين بلا تفرقة بسبب عقيدة أو دين. وكأنه كان يرى الرب يسوع وسط حشود البؤساء، وكان يسمعه ينادي قائلاً: "ومافعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر بي فعلتم".

وهكذا قضى حياته كلها في سعي دؤوب في سهر وتعب وكد، كيما يصل برسالة الحب إلى المحتاجين والمعوزين. لكن قلبه لم يستطع أن يتحمل كل ما كان يجيش فيه من طموحات لا تنتهي فقد كان في حياته متمثلاً بسيده الذي أحب إلى المنتهى. فانتقل فجأة وهو في الغربة وهو يعزف على قيثارته أعذب أناشيد الحب للبعيدين والقريبين.

وهو الآن في المجد يعزف بقيثارته ألحاناً سماوية فريدة أمام عرش المسيح.

والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور.

مقدمة الدار

عندما نقرأ هذا الكتاب لابد وأن نتساءل : ما هي الزنبقة ؟ وهل يمكنها أن تتحدث وأن تغني ؟ وللإجابة يجب أن نستعيد ما قاله الرب يسوع "تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا . أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان " (متي ٦ : ٢٨ - ٣٠).

من هنا يتضح أن هذه الزنابق هي نفسها عشب الحقل . وهكذا فإن الرب يسوع عندما قال : "تأملوا زنابق الحقل" إنما كان يشير إلى بعض زهور البرية التي كانت تنمو في الحقول حولهم ، وليس إلى نوع بعينه . لقد أراد أن يوجه الأنظار إلى عناية الله بهذه النباتات الضعيفة التي تخطف الأبصار بجمالها وتعدد أشكالها وألوانها . فكم بالحري تكون عنايته بالإنسان الذي خُلق على صورته .

هذه إذاً حقيقة الرسالة التي أراد الرب يسوع أن يبعثها لنا من خلال الزنبقة إنها رسالة العناية الإلهية .. إنها رسالة المحبة ..

ويبدو أن الكاتب في تواضعه أخذ موقع التلميذ فجلس على الحشائش

يصغي إلى الزنبقة وهي تتحدث إليه . ويبدو أيضاً أنّ الزنبقة نفسها قد تحورت وتحوّلت في نظر الكاتب إلى قيثارة رائعة ،فلم تكن تتحدث بل كانت تغني وتنشد وترسل ألحانها الشجية لتكشف عن أجمل وأرق معاني الحب ...

أخذ الكاتب يصغي إلى هذه القيثارة العجيبة لكنه فجأة اكتشف أنها كانت تردد ألحان القيثارة السماوية العظمى . وهكذا قادت الزنبقة الكاتب إلى يسوع الذي جاء خصيصاً ليعزف للإنسان أروع ألحان الحب ، وحتى يتحول الإنسان نفسه إلى قيثارة حب ..

لقد فقد عالمنا المسكين الابتسامة وضاعت منه الألحان الحلوة الشجية . وهنا يريد الكاتب أن يرجع بالعالم إلى الفردوس المفقود حتى ينبض كل مافيه بالحب وتتردد في أرجائه أغاني الحب .. وحتى يتأتي ذلك، يجب أن نصغي إلى القيثارة السماوية، وأن يتحول الإنسان على أنغامها إلى قيثارة حب.

دار الثقافة

في هذا الكتاب

مقدمة

أعترف بأني لم أستطع أن أدون هنا كل ما قالته لي الزنبقة ، فحديثها العذب الذي ابتدأ منذ أمد بعيد حديث متصل، ولا أظن أنه سينتهي أبداً ..

وأعترف أيضاً أني كثيراً ما نظرت إلى الزنبقة بشيء من عدم الاكتراث. فهذه الزهرة الصغيرة التي تنمو في الحقول عشوائياً تبدو وكأن لا قيمة لها ، ولا شك أنه لهذا السبب اختارها السيد، وكانت في بداية حديثها الطلي تهمس في أذني وتقول: " انظر إلى الثرى الذي أسترخى فوقه...وإلى الفراشات التي تتراقص حولي...وإلى أسراب النحل التى تغتذى وتنتشي برحيقي وإلى قطرات الندى التي تتلألأ فوق وريقاتي، إن كل هذا يحدثك عن الحب..

ولكن هذا الحديث العذب لم يكن إلا البداية لسيمفونية رائعة جميلة، أخذت الزنبقة نفسها تعزفها أمامي، رأيت الزنبقة وقد تحولت إلى قيثارة جميلة أخذت تعزف أمامي أروع ألحان الحب وأعذبها

سمعتها تعزف مقطوعات جميلة مبهرة رفعتني إلى العلاء، لكنها فجأة أخذت تعزف مقطوعات مفزعة رهيبة هبطت بي إلى أسفل!! .. كانت بعض المقطوعات مفرحة مبهجة أدخلت إلى قلبي السعادة والهناء، وبعضها كانت

حزينة كئيبة هزت كل كياني وأسالت الدموع من عيني!! ..

في كل هذا أخذت أكتشف روعة هذه السيمفونية الصادقة لأنها كانت تتحدث عن الحب من كل جنباته.

فالحب له أحزانه ودموعه وله أيضاً روعته وأفراحه..له بذله وتضحياته وله أيضاً انتصاراته وثماره..لكننا في كل هذا نجد الحب يعمق جذوره ويوسع أطنابه..فالحب لا يهدأ حتى يحقق أهدافه وأغراضه..

قضيت أياما طويلة أستمع فيها إلى أحاديث الزنبقة العذبة وأنصت إلى ألحانها الشجية، لكني فجأة اكتشفت أن هذه القيثارة الصغيرة كانت تردد أنغام القيثارة السماوية العظمى. وهكذا قادتني الزنبقة إلى يسوع الذي أتى ليغني لنا بحياته أناشيد الحب، وليحول الإنسان على أنغام قيثارته إلى قيثارة حب.

في نهاية الكتاب اكتشفت هذا المعنى العظيم وأنا أصلي أن يتحول كل من يقرأ هذا الكتاب إلى قيثارة حب. أمين

المؤلـــــف

"صعد إلى الجبل"

"ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل" مت ٤ : ١

لقد كان هذا أول لقاء للسيد مع الجماهير، وهكذا أراد السيد أن يكون لقاؤه الأول لقاء قمة فوق الجبل..

ولكم التقى السيد بالجماهير، وسط المدن والوديان والحقول..كانت لقاءاته كلها لقاءت قمة من الحب.

وكان حضن يسوع الواسع الدافىء مفتوحاً لكل الجماهير بكل طبقاتها وبكل علأتها أيضاً..

وانتهزت الجماهير الفرصة ، فأخذت تتهافت عليه، فمنهم من أمسك بهدب ثيابه، ومنهم من ارتمى في حضنه، ومنهم من سجد أمامه، ومنهم من ناداه بدون كلفة "ارحمني..ارحمني" .

كانت الجماهير تزحمه لأنّه هو الذي شجعهم على ذلك ، ولأنّه كان يجد لذة في مساعدة البائسين وشفاء المرضى، وإشباع الجوعانين، وإراحة المتعبين،آه، ما أروع تلك اللقاءات التي تدفقت فيها مشاعر الحب من السيد فوجدت صداها في عالم محروم من الحب.

لكن أول لقاء كان له وهج خاص وإن كانت لقاءات يسوع مع الجماهير كانت

كلها لها مذاقاً خاصاً، ولكن بالأخص كان أولها هنا تدفق الحنان بصورة عجيبة.

هنا لم يشبع يسوع جائعاً..لم يشف مريضاً..لم يقم ميتاً..وكانت الجماهير التي التفّت حوله في ذلك الوقت في مسيس الاحتياج لأن يلبي يسوع كل هذه الاحتياجات الملحّة. لكن يسوع في هذا اللقاء الأول فضّل أن يفعل شيئاً آخر..

"فتح فاه وعلمهم قائلاً..(متى ٥ : ٢)

"علمهم ....."

لقد كان الهدف الأساسي الذي جاء من أجله يسوع هو أن ينير الإنسان بالمعرفة، وأن يبدد ظلام الجهل الذي هو أساس الويلات والمصائب التي حلت على العالم، لذا كان صوت الرب منذ القديم، يدعو الإنسان للمعرفة قائلاً : "أنا الرب إلهك معلمك لتنتفع، أمشّيك في طريق تسلك فيه. ليتك أصغيت لوصاياي فكان كنهرٍ سلامك، وبرك كلجج البحر" (إش ٤٨ : ١٧ - ١٨)

وفي صوت يقطر ألماً نادى الله شعبه قائلاً "قد هلك شعبي لعدم المعرفة" (هوشع ٤ : ٦)

لقد استعذب الإنسان أن يعيش في ظلام الجهل، ذلك لأنه كان يخشى المواجهة التي تكشف عمق ضلاله ، ولم يعلم أنّه في نور المعرفة يكمن أيضاً سبيل الخلاص ..

ومن العجيب أن المعلّم لم يظهر كمعلم لكنه جاء كحبيب " معلّم بين ربوة..

حلقه حلاوة وكله مشتهيات" (نش ٥ : ١٠ - ١٦)

نعم جاء المعلّم كحبيب..لم يأت لينادي بصوت أجش ليبعث بالرعب في سامعيه، بل جاء ليعلم بمثال حياته، جاء ليكشف للإنسان عن جمال الكمال وعن كمال الجمال..كمعلّم بين ربوة، فقد كان المثل الفريد للحب والرقة والحنان والكمال في أروع صورة..إنه أبرع جمالاً من كل بني البشر..

لا عجب إذا التفت الجموع حوله ومشت وراءه الأيام الطوال، ناسية نفسها وناسية العالم بأسره. كان يسوع يجذب الجموع خلفه ليرقى بهم فوق الجبل، وخارج أنفسهم وخارج العالم أيضاً..

كان صوت يسوع هادئاً رقيقاً منعشاً كالنسيم .. هو الذي قيل عنه: "هوذا فتاي الذي اخترته. حبيبي الذي سرّت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدّخنة لا يطفيء. حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم" (متى ١٢ : ١٨ - ٢١)

كان صوت يسوع خافتاً، ومع ذلك يقول عنه يوحنا الرائي عندما سمع صوته أنه "كصوت مياه كثيرة" (رؤ ١ : ١٥)

هكذا صوت الحب دائماً ، إنه خالد خلود الزمن ..

"طوبى لكم .."

هذه هي الأنشودة الحلوة الخالدة التي جاء يسوع ليرددها في عالم البؤس والشقاء. إنه جاء لينادي للإنسان بالسعادة والبهجة. لكن وعود الرب يسوع

لم تكن مجرد شعارات براقة أخذ يلوّح بها ليستقطب الجماهير حوله. لكنه كان جاداً فيما يقول. وكان يذكر للجماهير دائماً أنّه جاء حقاً ليعطي السعادة ويهب البهجة لكل إنسان مهما كانت ظروفه وأحواله. إنّه جاء لينادي بالسعادة للحزانى، وبالشبع للجياع، وبالتعزية لكل المساكين والمحرومين والمطرودين..

ولقد اختبرت الجماهير صدق هذه الدعوة ، فأخذت تشدو مع المرنم " "حوّلت نوحي إلى رقص لي. حللت مسحي ونطقتني فرحاً" (مز ٣٠ : ١١)

في هذا اللقاء الفريد أحست الجماهير أنهم من المحظوظين الذين قدّر لهم أن يلتفوا حول السيد. وأدركوا حقيقة ما قاله السيد: "أن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعونه ولم يسمعوا" (لو ١٠ : ٢٣ - ٢٤). وكان لسان حال الجماهير يقول: جيد يارب أن نكون ههنا لنمتع عيوننا برؤياك ، وآذاننا بسماع صوتك . جيد يارب أن نبقى معك أبد الدهر لأننا لن نشبع منك أبداً..

لكن بعد أن ارتفع السيد بالجماهير إلى هذه الأجواء السماوية الرائعة إذ به فجأة ينزل بهم إلى الأرض. قال لهم: "تأملوا زنابق الحقل.." (متى ٦ : ٨) وكأنّ بالجماهير عندما سمعت هذا الكلام أخذت تهمس وتقول، ما هذا ؟.. هل حقاً يريد السيد أن نحول أنظارنا عن شخصه إلى شيء آخر سواه؟! هل يريد بعد صعودنا فوق الجبل أن نتركه ونهبط ثانية إلى الوديان؟! ولأي شيء؟.. هل يريد حقاً أن نحوّل أنظارنا عنه لنتأمل زهرة صغيرة تنمو في الوديان نمواً عشوائياً، كثيراً ما رأيناها واعتدنا عليها دون أن نعتد بها ؟!.

نعم ..

وكأنَّ بالسيد المسيح يجيب الجماهير قائلاً "هل استطعتم أن تدركوا كل ما قلته لكم فوق القمة؟!.." فالإنسان لا يمكنه أن يفطن إلى رسالات القمة إلا بعد أن يجتاز في الوديان.

فالتلاميذ لم يدركوا عن سيدهم إلا القدر القليل وهو فوق جبل التجلي، لكنهم عرفوا الكثير عنه بعدما رأوه يبكي في البستان.

كما أنّ الرب يسوع أراد بقوله هذا أن يؤكد للجماهير أنه سوف يبقى معهم دائماً بصورة أو بأخرى..ولقد كانت الجماهير تدرك أنّ لقاءاتها مع السيد مهما طالت لابد وأنْ تنتهي. ماذا يفعل الإنسان عندما يختفي يسوع بعد أن تعلّق به كل هذا التعلق وصار بالنسبة له هو النور والهواء والماء والغذاء؟! ..

* لقد كان على السيد أن يعالج هذا الموقف العصيب قبل حدوثه، ويؤكد للإنسان أنه معه في كل مكان وزمان. ألمْ يحدث هذا في القديم فقد كان يسوع مع شعبه في البرية على هيئة ملاك أو عمود من سحاب أو نار "وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهاراً وليلاً" (خروج ١٣ : ٢١ - ٢٢)

---

* إن حقيقة وجود الرب يسوع الدائم في العالم بعد صعوده إلى السماء، قد أكدها لتلاميذه عندما قال "وأنا أطلب من الرب الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله..لا أترككم يتامى. إني آتى إليكم. بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني" (يوحنا ١٤ : ١٦ - ١٩)

في هذه المرة أراد السيد أن يؤكد حقيقة وجوده بأسلوب رائع جميل.

فعندما قال الرب يسوع "تأملوا زنابق الحقل" إنما أراد أن يؤكد أنّه عندما يتأمل الإنسان في هذه الزهرة الصغيرة، فإنه سيرى فيها شيئاً من وداعته ورقته وجماله. كما أنّه أراد أن يقول أنّنا يمكننا أن نراه أيضاً في جمال الزهور وروعة النجوم وجلال الجبال وعظمة البحار. فالسموات تتحدث، والفلك يخبر، والخليقة كلها تكشف عن عظمة وجلال وحكمة "الكلمة". "فكل شيء به كان وبغيره، لم يكن شيء مما كان"..''فالكل به وله قد خلق"

تأملوا زنابق الحقل

١- دعوة للحب والإخاء

انطلقت إلى الوديان لأبحث عن الزنبقة ولقد استهوتني الدعوة لأني أحس بأن الأشياء الصغيرة تشدني إليها. هناك ألفة دائمة بيني وبينها لأني أشعر، كم أنا صغير في هذا الكون الفسيح الكبير..

أحسست بشيء من الذنب لأني أغفلتها، وأردت أن أتصادق معها وأتعرف عليها. نعم، إنها زهرة صغيرة كم استهان بها الإنسان، لكنها عظيمة في عيني خالقها.

انطلقت إلى الحقول والوديان باحثاً عن الزنبقة، وأطلتُ البحث عنها لكني لم أجدها، ولشدة عجبي فإني لم أجد الأرض أيضاً!!

لقد اختفت الأرض..اختفت الأرض بكل أوحالها وأقذارها، وظهرت أمامي أرضاً جديدة نظيفة جميلة، ياللعجب!!..

ولقد كان هذا الحلم يراودني دائماً فقد كنت أرى الأرض مغطاة دائماً بأشواك المرارة والآلام، مليئة بأحجار العداوة والصدام، وهكذا تحولّت إلى مكان خرب ملئ بالحطام يتصاعد منها أصوات النحيب وصرخات الوجع والأنين..

كنت أقول لنفسي متى يأتي الوقت الذي فيه تختفي الأرض وكل ما عليها ويحل محلها أرضاً جديدة لا يوجد فيها أقذار وآثار المعارك والدمار. أرض يسود فيها الحب ونسمع فيها أناشيد السعادة والسرور..

هذه الأشواق كنت أحسبها أحلاماً بعيدة المنال، لكني فجأة وجدت أن هذه الأحلام قد تحققت، وجدت الأرض وقد اكتست بثوب زاهٍ جميل مرصّع بأجمل الجواهر..

هنا انبهرت وشعرت بالسعادة، لكني في عجبٍ أخذت أتسا ءل من أين جا ء هذا الثوب الرائع الجمال؟!..

فجأة اكتشفت السر..وجدت أن هذا الثوب مصنوع من ألوف الألوف بل من ملايين الزنابق الصغيرة التي تعانقت وتماسكت بعضها ببعض. وكانت هذه الزنابق، مع هبات النسيم، تتمايل وتتراقص معاً في حبٍ وهيام..

هنا وعيت الرسالة..لقد تحققت المعجزة لأن الزنابق تعانقت واتحدت معاً في حبٍ فصنعت هذا الثوب الرائع الجمال..لقد كانت الزنابق متباينة في أشكالها وألوانها، وكانت هذه الاختلافات بعينها هى التي أسهمت في صياغة ذلك الردا ء بكل هذه الروعة والجمال..

هنا قلت للزنبقة هل لي أن أعرف ما اسم هذه الأزهار ومن أين أتت؟!...قالت: "هذه الأزهار التي تبدو أمامك متلألئة مثل الجواهر هي من نوع خاص كلها أزهار محبة..انظر إلى هنا تجد أزهار فرح وسلام..وهناك أزهار طول أناة.. وهذه أزهار اللطف والصلاح .. وهنا أزهار إيمان ووداعة وتعفف..كل هذه زهور حب رائعة جميلة تكشف عن جنبات الحب المختلفة..

هنا قلت لقد ماتت زهور الحب، واختفت منذ القديم. عندما قتل قايين أخاه وسال دم هابيل على الأرض، هنا ماتت كل الزهور الحلوة الجميلة، ونبت عوضاً عنها زهور متوحشة دميمة تنفث سمومها في كل مكان. فمن أين أتت زهور

الحب هذه وكيف نبتت؟! ..

هنا قالت الزنبقة: "إنّ كل ما قلته صحيح لكن ها أنت ترى زهور الحب تنمو وتترعرع في كل مكان لكن يجب أن تعلم أنّ هذه الزهور ما كانت لتنمو لولا أن دم الفادي قد سال فوق صخرة الجلجثة..

هنا أخذتني الدهشة وقلت: كيف يمكن أن يحدث ذلك؟!..كيف تنبت زهور الحب ونحن نعيش في عالم البغضة والرذيلة؟!..هنا قالت الزنبقة: إن دم الفادي الذي سال على صخرة الجلجثة..صخرة العداوة..هو الذي أنبت كل زهور الحب الجميلة التي تراها من حولك..لا تتعجب..والسر في ذلك أن دم الفادي له القدرة أن يقتل العداوة..

انظر إلى الجلجثة لتتحقق من ذلك..هناك تجد أن كل الجلدات التي مزقت لحم الفادي، وكل المسامير التي اخترقت جسده، وكل السهام التي نفذت إلى أعماق قلبه، وكل طوفان الغضب الذي انصب على رأسه..كل هذه لم تقدر أن تدخل شيئاً من البغضة إلى داخل قلبه. بل على النقيض لقد استطاعت كل هذه الأساليب الجهنمية التي استخدمت لتعذيبه أن تفجر ينابيع الحب من أعماق قلبه ووجدانه.

وكانت كل قطرة دم وهي تسيل تقول لصالبيه ولكل إنسان إني أحبك..

نعم لقد انتصر الحب واستطاع دم الفادي أن يقتل العداوة، وها أنت ترى زهور الحب قد نبتت فوق صخور العداوة..زهور الصبر وقد نبتت فوق أشواك الآلام والعذاب..زهور التعفف وقد نبتت فوق أوحال الرذيلة والنجاسة..زهور الفرح وقد نبتت فوق أحجار الهموم والأحزان. عند أقدام صليب الحب تفتحت أجمل وأروع الورود في كل الوجود.

٢- دعوة للتطلع إلى العلاء

قاد الحب الزنابق لأن تتعانق وتتماسك معاً في ألفة وإخاء، فصنعت ذلك الثوب الرائع الجميل. وهكذا قاد الحب الزنبقة للاختفاء ثم الظهور بصورة رائعة تأسر الألباب وتفوق الخيال..إنّ هذا ما يفعله الحب دائماً..

كل هذا شدني لأنْ اقترب منها أكثر، وعندما دنوت وجدت كل واحدة منها تتطلع بعنقها إلى العلاء في زهوٍ وخيلاء!!..أخذت أحملق فيها في عجبٍ وقلت ألا يتناقض هذا مع ماحسبته فيها من تواضع ولطف وإخاء؟!..هنا قالت الزنبقة وكأنما عرفت ما يدور في فكري: "أنا الزنبقة التي أجسم معجزة الحياة. فأنا معجزة في خلقي، ومعجزة أيضاً في بقائي. إني صغيرة في حجمي، لكني عظيمة في قدري عظيمة كعظمة ذلك الإله الذي تفنن في صنعي والذي يعتني بي على الدوام. فأنا أجسّم معجزة الخلق، ومعجزة الانتصار على أعداء الحياة..

انظر إلى جمالي..إني أجسّم البساطة فجمالي يعتمد على الرقة والوداعة. وهذا الجمال له سحر خاص، يشبع القلب ويبهج النفس..

وجمالي هذا له بريق خاص، لأنك ترى خلفه الأرض السمراء. وأنا لا أعلم كيف نشأت بهذا الجمال وترعرت، ونموت في داخل هذه التربة المليئة بالأوحال والأقذار.

إن كل هذا يشهد لعظمة خالقي الذي اهتم بأنْ يخلق الجبال وكذلك أيضاً العصافير..اهتم بأن يخلق الأشجار الكبيرة وكذلك أيضاً الزنابق الصغيرة. إني أرى أنّ اهتمامه بخلق الأشياء الصغيرة يكشف أكثر من عظمته وقدرته.

الأخرى. وهذا يؤكد أنّ ذلك الفنان الأعظم اهتم اهتماماً خاصاً في خلق كل واحدة منا. هكذا أنتم يامعشر البشر بالرغم من كثرتكم فأنتم متشابهون، وأيضاً مختلفون. إنّ هذا يؤكد اهتمام الخالق الشخصي بكل فردٍ منكم. أليس هذا شيء مثير يدعو للراحة والسلام؟! ..

انظر أيضاً إلى جمالي الذي يظهر في نضارتي..أنا لا أعرف أسرار الحياة.

لا أعرف كيف نشأت، وكيف بقيت وأنا أعيش وسط عالم مليء بالزوابع والمصائب؟ لكني أعرف شيئاً واحداً إني أحيا لأني أرمي بنفسي بين ذراعيه في استرخاء تام.

كل ما أفعله هو أن أكشف وريقاتي لأشعة شمسه، وأستنشق نسيمه وأرتشف قطرات نداه..

لذا فأنا أحيا لأشهد لفضله، وأغني أغنية الحب والولاء لمن أوجدني، ورعاني في هذا الوجود. إني أتطلع دائماً إلى العلاء حتى أقبله في سماه..

هنا أحسست بسلام يغمرني، وأخذت أستعيد كلمات السيد عندما قال "لا تهتموا لجسدكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة. ولماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم. ويطرح غداً في التنور يلبسه الله

تغزل ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم. ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأنّ أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها.

لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم"(متى ٦ : ٢٥ - ٣٣)

أخذت الزنبقة تردد كلمات السيد المسيح مرة تلو الأخرى، فامتلأ قلبي بالسلام.

هنا رفعت عيني إلى العلاء، وأخذت أردد مع المرنم "أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض. لا يدع رجلك تزل. لا ينعس حافظك. .الرب ظلّ لك عن يدك اليمني. لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في الليل. الرب يحفظك من كل شر يحفظ نفسك. الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر" (مزمور ١٢١)

٣- دعوة للتجمل والارتقاء

بعد أن كنت أنظر إلى الأرض في يأس وقنوط، أخذت أتطلع إلى السماء في سعادة وسلام. كل هذا صنعته بي الزنبقة بفيض سحرها وجمالها..

إذاً فالجمال قيمة من أعظم قيم الحياة إن سحره ينفذ إلى القلب فيشع فيه بالسعادة والبهجة. وهل كانت الحياة لتستحق أن نحياها بدون التمتع بهذا الرحيق العذب الذي يغذي القلب وينعش الفؤاد ؟! ..

أخذت أتأمل الزنبقة وهى تتألق بذلك الجمال السحري وأحسست بأن عطشي لهذا الجمال يزداد..

فجأة أحسست بالغيرة تنهش قلبي وأدركت كإنسان، مع أني تاج الخليقة، لكن هذه الزنبقة الصغيرة تتفوق عليّ هنا قلت لأهدئ نفسي، إن هذه الزنبقة لا فضل لها في جمالها، إنها خلقت لتكون هكذا..

هنا نظرت إلى الزنبقة في إشفاق، وكأنما فطنت إلى ما كنت أفكر فيه، فقالت: "نعم، أنا لا فضل لي في جمالي لكن هذا الجمال ليس جمالاً عفوياً كما تظن. إنه نتيجة لتفاعلات كثيرة وعجيبة تحدث داخلي.

وهذه التفاعلات قادرة على صنع جميع الألوان بكل درجاتها المتفاوتة، ويمكنها أيضاً أن تدفعني للنمو في كل اتجاه. لك أن تعرف أنّ هذه التفاعلات في حقيقتها متعارضة، لذا يمكن أن يكون شكلي متنافراً يجسم القبح بعينه. لكن عوضاً عن ذلك تجدني متجانسة في الأبعاد والأشكال والألوان. لذا فإنّ الجمال

في حقيقته يتأتي من التجانس، وهو نتيجة لحياة داخلية يسودها التناغم والتفاهم والوئام. إنه نتيجة للحب..

هذه هي الحقيقة، إنّ الجمال هو نتيجة للحب..فالحب يولدً الجمال، والجمال يقود إلى الحب..

هنا أخذت أتأمل حياتي، وانزعجت لعنف الصراعات الداخلية التي مزقت كياني، وبشدة التناقضات التي شوهت حياتي..وأحسست بالإحباط لأني وجدت إني لا أستطيع أن أتخلص من مشاعر الكراهية التي تجتاح حياتي، ولست بقادر على أن أتغلب على نزواتي التي كثيراً ما تدفعني للتمرغ في الأوحال..

وكأنما أحست الزنبقة بما كان ينتابني من ألم وقنوط فقالت لي لا تيأس، يوجد حل. انظر إلى وريقاتي التي التصقت معاً بطريقة عمودية، إنّها بذلك ترسم علامة الصليب. هذه هي وظيفتي الحقيقية أن أرسم صلباناً بلا عدد في كل مكان، وأرفع شعار الصليب على طول الزمن..

هنا أحسست بالصدمة وقلت أن الزنبقة تهزي. فالصليب هو أقبح شيء في الوجود، كيف يتحول إذاً إلى شعار الحب والجمال؟! .. هنا أجابت الزنبقة: نعم إن الصليب كان كذلك حتى عُلّق عليه الفادي، وهكذا صار الصليب هو القمة في كل شيء. هناك تفجرت قمم من الشر والخبث والكراهية، وهناك تدفقت أيضاً ينابيع الحب والطهر والخير..

وهكذا تبدل الصليب، فبعد أن كان قمة بشعة تجسّم القبح تحول إلى قمة رائعة للجمال..

وإذا كان يسوع قد انتصر في موقعة الجلجثة وحول صليب الشر والقبح إلى صليب يتفجر بالضياء ويشع منه الجمال والبهاء ، فإنه بذلك يؤكد أنّه يستطيع أن يحّول جميع صلبان الحياة مهما كانت مقززة وكريهة، إلى صلبان رائعة لامعة يشع هو فيها بحبه وجماله..

إنّ الصليب هو قمة الجمال لأن عليه تجسمت قمة الحب الإلهي..

ولا شك عندي أنّ المرنم عندما قال : "أنت أبرع جمالاً من بني البشر" إنما قال ذلك عندما رآه معلقاً هناك بين الأرض والسماء. لقد سبق ورآه فوق جبل التجلي في قمة من المجد والبهاء، ورآه أيضاً ماشياً فوق اليم في أوج من القوة والعظمة، لكن السيد عندما علّق فوق الخشبة تجلّى هناك في صورة أبهى وأعظم من كل ما مضى..

لا تتعجب إذا قلت إني أنا أيضاً كنت هناك فوق صخرة الجلجثة في ذلك اليوم الحزين.

كنت أشكو دائما من ضعفي ولم اعلم أن هذا سيكون في يوم من الأيام سبب فخري!!..

فمن دون النباتات والأشجار، ومن دون الزهور والورورد جميعها ، قدّر لي أن أنمو فوق صخرة الجلجثة المرعبة. ولكم عاينت صلباناً كثيرة وشاهدت المصلوبين وهم معلّقون هناك كان منظرهم بشعاً مقززاً. كانت صرخاتهم مرعبة وكلماتهم بذيئة تكشف عن عمق شرورهم وفجورهم.

ولكني في هذا اليوم الحزين رأيته من بعيد يكسوه الهدوء والوقار. سماته

كانت تنبض بالحب بالرغم من شدة العذاب الذي ألّم به. بل من العجيب كانت نظراته وكلماته تكشف عن شدة عطفه وحبه لتلك الوحوش المجنونة التي أحاطت به واستعذبت تعذيبه وسفك دماه..

أخذت أتأمل في ذلك المشهد العجيب المهيب وأنا لا أعرف ماذا كان يحدث أمامي؟ فجأة أدركت كل شيء عندما سمعت من بعيد ما قاله النبي عن ذلك الحدث العظيم (اشعياء ٥٣).

أخذت أصغي لحديثه، لكني وجدته لا يتكلم، بل ينشد أنشودة عجيبة على أنغام سماوية عذبة. فوق الجلجثة سمعت سيمفونية رائعة اختلطت فيها الأنغام بطريقة عجيبة. سمعت أنغاماً مفرحة مبهجة ترفعك إلى السماء، وأخرى كئيبة مفزعة تهبط بك إلى أعماق الجحيم. سمعت ألحاناً حانية رقيقة تبعث بالراحة والسلام وأخرى قاسية مروّعة تدمي القلب، وتدمع العين..

أخذت هذه الأنغام ترج نفسي بعنف، وفجأة سمعت النبي يهتف ويقول: "هوذا عبدي.." بكل الشوق أخذت أتوقع رفع الستار لأرى ذلك الشخص السماوي العجيب! لأ أعرف كيف بدا وماذا كانت أهدافه؟! وهنا استطرد النبي قائلاً "هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي، ويتسامى جدا.."

كان لهذه الكلمات وقع عظيم على نفسي، وزادتني شوقاً لأنْ أدنو منه وأرى محياه الكريم. لكن النبّي بعد هذا الاستهلال العظيم، هبط بي فجأة إلى أعماق الجحيم. وأخذ يردد أنغاماً حزينة تمزق القلب ويقول: "كما اندهش منك كثيرون. كان منظره مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني أدم!!

ياللهول..أين الجلال والجمال؟!

وأين العظمة والبهاء؟.. بل أين التعقل والتسامي والارتقاء؟..كل هذه تبددت وحل محلها القبح بدرجة تفوق الوصف!!..

ويؤكد النبي أنّ منظره كان مفسداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم!! ياللعجب!!

لقد استطاع الإنسان بانغماسه في شروره والسعي وراء ملذاته أن يمسخ صورته ويشوه هيئته فصار منظره مشوهاً يثير الاشمئزاز ويدعو للنفور. أما عن السيد فقد صار منظره مفسداً أكثر من الإنسان فصار محتقراً ومخزولاً من الناس حتى أن النبي وصفه قائلاً "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به"

"لكن..."

أخذت أتأمل سيدي المشّوه وأنا منذهل. لكن النبي استطرد قائلاً: "لكن .." هنا تملكني الشوق لأعرف السر الذي وراء كل هذا التشوه، وكيف ارتضى السيد لنفسه كل هذا الهوان؟!..وإذا بالنبي يستطرد ويقول: "لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً.."

هنا انكشف السر..وهنا أيضاً ظهر نوع من الجمال الذي يفوق كل وصفٍ..

فعندما رأى السيد تلاميذه معذبين وسط البحر ذهب إليهم ماشياً فوق الماء في أوج من القوة والعظمة. أما هنا فعندما رأى السيد المسيح البشرية الساقطة تغرق في طين الحمأة، خلع ثيابه وغاص في أعماق الوحل لينقذ أحباءه.

ويوضح كاتب سفر العبرانيين هذه الحقيقة عندما قال: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيدْ بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي أبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢ :١٤-١٥)

هنا انفتحت عيني ورأيت في ذلك الشخص الكريم المشوّه والمعلّق بين الأرض والسماء جمالاً خاصاً فائقاً. رأيت فيه جمال الصدق، وجلال الوفاء، وروعة الجهاد، وسمو الهدف، وعظم التضحية والبذل والعطاء..تجلت أمامي كل هذه المعاني، وتجلى أيضاً جمال الحب الإلهي في أبهى وأروع صورة.

كان منظره مفسداً..

كان منظره رائعاً جميلاً مجيداً..

إن الرب يسوع هو بهاء مجد الله ورسم جوهره حامل كل الأشياء بكلمة قدرته. لم يحسبب خلسة أن يكون معادلاً لله..وبالرغم من كل ذلك لم يقف موقف المتفرج أمام المأساة البشرية. لقد عقد العزم على انقاذها مهما كان الثمن. أليس هذا هو قمة التعقل والتسامي والارتقاء؟! وحتى يقوم بهذا الهدف النبيل كان لابد وأن يخلي نفسه آخذاً صورة عبد وإذ وجُد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.

لقد كان منظره فوق الصليب مفسداً لكنه في نفس الوقت كان يشع بالجمال..جمال الصدق والحب والوفاء..

لم يكن خلاصناً هيناً. فما قام به السيد لم يكن مجرد مسرحية وهمية وتمثيلية

خيالية، لكنه ذاق الموت فعلاً لأجل كل واحد منا!!..لقد وضع الرب عليه بالحقيقة إثم جميعنا وشرب الرب يسوع-بالتأكيد-كأس الدينونة الرهيبة حتى آخرها

وهو مجروح لأجل معاصينا..

مسحوق لأجل آثامنا..

تأديب سلامنا عليه..

بحبره شفينا..

لكن هل يقدر أحد في الوجود أن يدرك عمق جراح السيد ؟!..وكيف كان السحق؟..وهل كانت المطارق التي هوت عليه..والحراب التي مزّقت أحشاءه..والمسامير التي اخترقت أوتاره..والسياط والأشواك التي ألهبت جسده..هل كانت كل هذه لتحكي عن قسوة العذاب وعمق الجراح ومرارة الكأس التي ذاقها الحبيب من أجلنا ؟!..ونحن ينبغي أن نتأمل طويلاً في تلك الجراح الغالية، لأنه على قدر الجراح هكذا كان الحب..

بجلدته شفينا..

على أن يسوع لم يكن مجبراً فيما فعل. لقد أخلى نفسه طواعية. وهنا تتجلى قوة الإرادة..فحبه كان أقوى من كل أهوال الصليب. لقد كان الهدف سامياً غالياً. وكان الثمن الذي دُفع فيه مهولاً..

"ونحن حسبناه.."

كانت الزنبقة تحكي قصة الصلب..كانت المفارقات عجيبة..وأخذت تتمتم وتقول

من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟!.." ياله من سؤال عجيب!. نعم، لمن استعلنت ذراع الرب..وهنا يجب أن نتساءل، ماذا كان موقف الإنسان من هذه الملحمة الإلهية الرائعة المجيدة التي استهدفت خلاصه؟!..

لقد كانت الجموع..من قبل..تزحمه وتصرخ إليه منادية، وكيما يخفف من آلامها ويسد إعوازها الجسدية. لكن الإنسان كان في جهل عميق فلم يدرك ما هى احتياجاته الروحية وأين هو طريق الخلاص؟

وتقول الزنبقة، كنت أتوقع أن أرى حشود الخطاة قد اصطفت على طول الطريق إلى الجلجثة وهم يقرعون الصدور في حزن وألم شديدين. كنت أتوقع أن أسمع كلمة واحدة تدل على العرفان بالجميل، وأن أرى حشود الخطاة في سجود وخشوع عند أقدام الصليب ليقدموا الشكر والولاء لمن بذل نفسه من أجلهم هناك.

لكن من العجيب أن شيئاً من هذا لم يحدث، بل على النقيض، فلقد صبّوا على يسوع جامات غضبهم. واستهزأوا به كما يحلو لهم.

ياللعار!!

لقد قام الرب يسوع بأعظم وأجّل عمل في الوجود وهو في عار!!

هنا يتجلى أمامنا ناحية أخرى سامية وعجيبة من حب يسوع. لقد أحب يسوع البشرية الساقطة إلى المنتهى..إلى المنتهى..لذا فإن عقوق البشر وجحودهم ما كان ليثني الرب يسوع عن أن يجود بنفسه من أجلهم. غير أنّ هذه الخلفية البشعة القاتمة السواد التي تكشف عن جحود الإنسان وشره وغبائه، قد أبرزت

جمال الرب يسوع وحبه وصبره ووفاءه بلا حدود..

وهكذا فإن حب الرب يسوع الفريد قد صاغ هذه الآية العجيبة "لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً.."

كانت هذه الآية الفريدة تجسم الصدق كله..كان الرب يسوع مضروباً حقاً من الله. لأنه حمل في جسده خطايانا على الخشبة. لذا قال وبكل اتضاع "بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق". هكذا أخذ يسوع مكاننا بالتمام، ولم ندرك نحن في وقته لماذا بدا هكذا؟ وبدلاً من أن نكرمه استهزأنا به.

"نحن حسبناه مصاباً.."

"أحب إلى المنتهى.."

على أن قمم الأمجاد أخذت تتوالى. سمعت النبي يقول "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء. إنه ضرب من أجل ذنب شعبي. وجُعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش"

أخذت الزنبقة تستعيد هذه الكلمات العجيبة التي تكشف عن جمال الكمال. "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه..على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش"

"ظلم أما هو فتذلل"

لقد ظلمه الكهنة والكتبة والولاة والعسكر والشعب. .وأوقعوا عليه كل صنوف العذاب والهوان. أما هو فتذلل. .كان رد الفعل هو الصمت والصبر. لم يفتح فاه. على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش.

فوق الجلجثة البشعة، تجلى نقاء يسوع وكماله وطهره في أبرع وأجمل صوره. إن كل الآلام التي حلت عليه، وكل الأهوال التي احاقت به لم تقدر أن تنفذ بشيء من الحقد بداخله، أوتولّد فيه شيئاً من مشاعر الكراهية والمرارة نحو أعدائه، وتدفعه لأن يقوم ويبيد أولئك الرعاع الذين التفوا حوله ويبطش بهم.

"كنعجة صامتة". .

لم يكن يسوع مستسلماً لا يقوى على المقاومة. صحيح أنّه كان كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها، لكن يسوع حمل صليبه صاعداً فوق الجلجثة بمحض إرادته. كان كشاة تساق إلى الذبح، لكنه كان يعرف طبيعة المذبح الذي سيوضع فوقه. .لم يفتح فاه مع أنه كان يعرف حقيقة النيران التي ستدب في جسده. .كان يسوع يعلم كل ما ينتظره لكنه اعتلى مذبح الجلجثة بإرادته. إن أهوال الصليب لم تثن يسوع عن أن يتمم هدف حياته. لقد كان الصليب هو الهدف لأنه كان الوسيلة الوحيدة التي بها تمم خلاصنا. .

"لم يفتح فاه". . غير إنّ هذا لا يعني إنه كان مستسلماً لقدره، أو إنه كان يجهل المصير البشع الذي كان ينتظره كان يسوع مهدّفاً يسير بصمت إلى الهدف العظيم. .

لذا لم يكن هناك وقت ليجيب فيه على أسئلة أولئك الرعاع الذين التفوا حوله ليهزأوا به. فقد كان مشغولاً بموقعة حاسمة عظمى أشد ضراوة وأكثر فائدة. إنه

جاء ليبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. كانت هذه معركة يسوع الأساسية، ضد إبليس، أما البشر الضعاف، فمهما كانت شرورهم، فكان قلبه مليىء بالحب والعطف والإشفاق عليهم.

هنا قمة الحب..

إن يسوع هو القمة دائماً..كان دائماً هو القمة في البهاء والجمال والطهر والحب حتى فوق الجلجثة..

على أنه لم يرتق الجلجثة ليستعرض كمالاته هناك، لكن هذه الكمالات هي التي مكنته من أن يتمم الهدف العظيم الذي جاء من أجله "إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين"

هذه هي الخلاصة..إن الملحمة الإلهية كانت مهذبة وكانت ناجحة أيضاً لقد أكمل يسوع العمل وانتصر فوق الجلجثة..وقمة الجمال تأتي في قمة الانتصار..وأروع انتصار هو الذي يولّد فيضاً من الحب..

"وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين.."

٤- دعوة للتحرر والشفاء

ويكون إنسان .."

دون أن أحس أخذتني الزنبقة فوق الجلجثة. كنت أعاني من التمزق الداخلي، وإذا بتمزقي يزداد هناك!!.. وكانت المخاوف والهواجس تجتاح نفسي، وإذا بمخاوفي وهواجسي تزداد أيضاً هناك!!

هناك تعرّيت تماماً.. صرت كما ولدتني أمّي.. أخذت ذنوبي وخطاياي تصطف أمامي..لم أشعر من قبل بشناعتها. وبشاعتها. لكني هناك رأيتها على حقيقتها، ياللهول!!

وقد كان من الممكن أن أصاب بالانهيار التام، لكن وسط مخاوفي وآلامي سمعت مقطوعات من سيمفونية الجلجثة تتردد وتقول "كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا..وهو مجروح لأجل معاصينا..مسحوق لأجل آثامنا..تأديب سلامنا عليه..وبحبره شفينا.."

أخذت هذه السيمفونية الرائعة الشجية تتردد في أذني وتتغلغل داخل أعماقي ووجداني، وإذ بكل مخاوفي تتبدد وأحزاني تتلاشى..

هنا تذكرت ماقاله النبي اشعياء "ويكون إنسان كمخبأ من الريح وستارة من السيل كسواقي ماء في مكان يابس كظل صخرة عظيمة في أرض معيية" (إشعياء ٣٢:٢)..لم أدرك من قبل عمّن يتحدث النبي. كنت أظن أنّ ذلك "الإنسان" شخصية وهمية يتخيلها الإنسان عندما يواجه المحن وتحل به الكوارث..وكثيراً ما كنت أتساءل هل يوجد ذلك الإنسان حقاً؟ وهل يهتم ذلك

الشخص الكريم بإغاثة الإنسان من المصائب والأهوال التي تجلبها عليه نزواته؟..

وبعد، وأنا أتخبط في بيداء الحياة، لاأعرف الطريق ولا أين المصير؟ إذا بالزنبقة تأخذني إليه..رأيته فوق صخرة الجلجثة معلقاً بين الأرض والسماء. هناك سمعت السيمفونية العذبة تتردد وتقول. كلنا كغنم ضللنا..ملنا كل واحد إلى طريقه..والرب وضع عليه إثم جميعنا..وهو مجروح لأجل معاصينا..مسحوق لأجل آثامنا..تأديب سلامنا عليه..وبحبره شفينا.."

فوق صخرة الجلجثة العاتية وجدت الحب يتدفق بطريقة عجيبة..كانت السيمفونية العذبة تتردد المرة تلو الأخرى..في هذه المقطوعة الفريدة كان التركيز كله على الحب..حتى عندما تحدثت عن خطاياي قالته بصيغة مواربة..كلنا كغنم ضللنا.. لم يكن هناك تركيز على خطاياي وآثامي .. لم يكن هناك محاولة لفضح الماضي والتحدث عن الطرق الشريرة التي انزلقت فيها..لا..لا..كان التركيز كله على ذلك " الإنسان" الذي جرح من أجل معاصينا وسحق من أجل آثامنا، أما عن خطاياي فقد طرحت جميعها في بحر النسيان.

هذا هو الحب الذي وجدته فوق الجلجثة..

ويكون إنسان كمخبأ من الريح وستارة من السيل..هنا اكتشفت حقيقة ذلك الإنسان..لقد كان ذلك الإنسان المعلّق بين الأرض والسماء مخبأ من رياح الغضب وستارة من طوفان الدينونة..هنا استراحت نفسي وتبددت مخاوفي، وزالت هواجسي التي كانت تدفعني للانزلاق أكثر في دروب الشر والضلال..

فوق الجلجثة كان نهر الحب يتدفق بقوة، وكنت أشعر وأنا أستحم في مياهه أني قد ولدت من جديد..

ويكون إنسان. .كسواقي ماء في مكان يابس.

كانت صخرة الجلجثة هى ذلك المكان اليابس الذي انصبت فوقه كل نيران الدينونة. .لكن ذلك المكان المخيف تحول إلى جنة فيحاء. .هناك أخذ ذلك الإنسان الوديع مكاننا وتحمّل قصاصنا، وإذا ينابيع الغفران والخلاص تتدفق من هناك إلى كل مكان. .

هذا هو الحب الذي وجدته فوق صخرة الجلجثة. .

على أني وجدت أن نهر الحب هذا كان يتدفق منذ القديم. .لقد كان يتدفق دون أن أعرفه. .كان يرافقني دون أن أحس به. .كان فيض غناه الذي كان يغمرني به يحدثني عن حقيقة ذلك "الإنسان" ذو العينين الساهرتين. .

واليوم، عندما أنظر إلى الوراء، أزداد عجباً مما أفعله به، وأردد قوله "أرسل من العلى فأخذني. .نشلني من مياه كثيرة. .لأنك أنت تخلّص الشعب البائس. . والأعين المرتفعة تضعها. .لأنك أنت تضيء سراجي. .الرب ينير ظلمتي. .لأني بك أقتحمت جيشاً وبإلهي تسوّرت أسواراً. .لأنه من هو إله غير الرب. .ومن هو صخرة سوى إلهنا. .الإله الذي يمنطقني بالقوة ويصيّر طريقي كاملاً. الذي يجعل رجلّي كالإيّل وعلى مرتفعاتي يقيمني. الذي يعلم يدى القتال فتحني بذراعيّ قوس من نحاس. وتجعل لي ترس خلاصك، ويمينك تعضدني، ولطفك يعظمني." (مزمور ١٨)

"الرب يضيء سراجي. ."

الرب ينير ظلمتي. .

ترس هو لجميع المحتمين به..

يمينك تعضدني..

لطفك يعظمني

لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر

يسترني بستر خيمته..

على صخرة يرفعني..

كانت ذكريات الماضي تتراقص أمامي، ووجدت كيف كانت سماء حياتي ملبّدة بغيوم كثيفة. لكن هذه الغيوم مهما تعاظمت كانت أشعة شمس محبته قادرة على اختراقها. وتكشف عن عظمة وأمانة ذلك "الإنسان" الذي كان يرافقني على طول الطريق ليحسن إليّ..

لم أعرف كيف حدث هذا! كنت أحس به وهو يتعقبني، وكنت في جهلي أخاف منه وأحاول أن أختبىء من حضرته. لكن المفاجأة كانت أنّه كان يتعقبني ليحسن إليّ، حتى وأنا أسير في دروب الجهل والخطأ. واليوم أدرك أكثر وأكثر حقيقة وروعة ذلك "الإنسان"

ويكون..إنسان..كسواقي ماء في مكان يابس..

لقد استطاعت تلك السواقي أن تغمر كل الحياة..كان نهر الحب المتدفق فوق صخرة الجلجثة يتدفق بكل قوة وفي كل اتجاه، لا يمكن لشيء أن يصده..

أخذت أردّد الكلمات الحلوة المشجعة والمحيية عن ذلك الإنسان "ويكون إنسان

كمخبأ من الريح وستارة من السيل كسواقي ماء في مكان يابس كظل صخرة عظيمة في أرض معيية .."

كظل صخرة عظيمة فى أرض معيية..على أن هذه الكلمات الحلوة أهاجت المواجع!..لقد كنت حقاً أحس بالإعياء وأنا أسير على هذه الأرض اليابسة المقفرة..الإعياء الناتج من الإحساس بالتيه لأني لم أعرف من أنا ؟! ولا إلى أين أسير ؟!

الإعياء الناتج من شدة المعاناة ومواجهة مشاكل الحياة التي تفوق كل وصف.. الإعياء الذي يتأتى من الشعور بالحرمان والإحساس بالجوع والفقر في عالم يسوده قانون الغابه، الإعياء الذي يتأتي من جوع أقسى من جوع الجسد إلى الطعام والغذاء بل جوع النفس التي لا تغتذي إلا على الإحساس بالأمان والكرامة والعدالة. إن العار والمهانة والظلم الذي يتعرض له الإنسان في هذا العالم الشرير الكريه هو الذي يسلبه كرامته ويدمر معنوياته ويشحنه بروح التمرد والكراهية، وبهذا يتحول الإنسان بالتدريج إلى قنبلة موقوتة مستعدة لأن تنفجر في أي وقت ليدمر الإنسان نفسه والعالم من حوله..

وبعد، وأنا أتأمل فيما يقاسيه الإنسان في العالم من أهوال، أصبت بالإحباط والأسى، ولم أعرف أين أجد البَلسَان لكل هذه الجراح..من يمسح للبشرية دموعها ؟ من يعصب جراحها العميقة الدفينة ؟ من يشفى أدرانها المستعصية الرهيبة؟ مَن ينزع عنها عارها ويرد لها كرامتها ويعيد إليها ابتسامة الرضى والسعادة والسلام؟..مَن؟..

وبعد بينما أنا مستغرقة في حيرتي سمعت الصوت يتردد في أعماقي ويقول:

ويكون إنسان..كظل صخرة عظيمة في أرض معيية!!"

رفعت عيني إليه، ووجدت ذلك الإنسان معلقاً عارياً بين الأرض والسماء رأيته مكللاً بأكاليل العار والهوان..

رأيته مسمراً بين لصّين..رأيت جسده وقد تمزق من شدة الجلد..وسمعته يئن ويقول "لأني من أجلك احتملت العار..غطى الخجل وجهي..العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم أجد..ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً" (مزمور ٦٩ : ٧ ، ٢٠ ، ٢١)

أخذت أحدق في سيدي وهو معلق هناك وكلمات النبي تتردد وتقول و"هو مجروح لأجل معاصينا..مسحوق لأجل اثامنا..تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا.." هنا هدأت الثورة التي كانت تتأجج داخلي، وإذا بكل جراحي تندمل. في عمق جراح المصلوب وجدت الشفاء.

رفعت عيني إلى المصلوب ورأيته وكأنه يبتسم لي وسمعت صوته الحنون يقول "تعالوا إليّ ياجميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم .."

"روح السيد الرب عليّ

لأن الرب مسحني لأبشر المساكين

أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق

لأجعل لنائحي صهيون

أعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد..

ودهن فرح عوضاً عن النوح..

ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة..

فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.." (إشعياء ٦١ : ١ - ٣)

أخذت أحدق في جراح المصلوب، لا أريد أن أحوّل أنظاري عنها أبداً..وكانت كلماته الحلوة تتردد في أعماقي "تعالوا إلى وأنا أريحكم. .روح السيد الرب عليّ..لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب.." أخذت أردد هذه الكلمات الحلوة المشجعة والمعزية، وفي كل مرة كنت أتلوها إذا بالجراح تندمل..والقلب يذوب..والأشباح تهرب..والأوهام تتبدد..والقيود تتحطم..أحسست كأني أولد من جديد وأحسست أيضاً بصدق الوعود..أعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد..دهن فرح عوضاً عن النوح..ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة..فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.."

وبعد، وأنا سابح في تأملاتي، إذا بالزنبقة تفاجئني وتقول: لماذا لا تكون أنت مثل ذلك "الإنسان" حتى ولو من بعيد؟!..من بعيد..كانت المفاجأة مذهلة لكني اكتشفت أنّ هذا هو الغرض الأسمى من إرسالية ذلك "الإنسان".. فيدعون أشجار البر، غرس الرب للتمجيد!!..ياللعجب!!

نظرت حولي ووجدت الزنابق تتمايل أمامي في نشوة وابتهاج. كأنما أدركت ما كان يحدث داخلي..رأيتها ترسم حولي صلباناً كثيرة بلا عدد. بل رأيت الكون كله يرسم الصلبان في كل مكان..كانت أشعة الشمس والنجوم..وأفرع الأشجار والغابات..وأجنحة الطيور السابحة في السماء..وكل وريقات الورود والزهور رأيتها كلها ترسم الصلبان من فوقي ومن تحتي

سمعتها كلها في نشوة تنشد وتقول:

هـل جلسـت بهـدوٍ ونظـرت للعـلاء
وتأملـت صليبـا بين أرض وسمـاء
فوقهـه الحـب تجلـى بجـراح ودمـاء
صافحـاً عـن صالبيـه بصـلاة ودعـاء
مسح الدمع السكيب من عيون البسطاء
نازعـاً حـزن الحزاني زارعـاً فيهم عـزاء
غافـراً كـل الخطايـا شافياً مـن فيـه داء
رافعـاً كـل البلايـا دافعـاً كـل الشقـاء
هـل تذوقـت سلامـاً ونعمـت بالفـداء
مـن مسيـح بدمـاه أجـزل لك العطـاء
راضيـاً ضحـى غناه حتـى يغنـى الفقـراء
جـاء للإنسـان نـوراً مانحـاً لـه الضيـاء

القـرار

يزيح الجبال ينادي تعالى بصوت يهز الضمير
يشيع السلام ينير الظلام فيبصر حتى الضرير

٥- دعوة للجود والعطاء

"ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها" (ملاخي ٤:٢)

لم أعرف معنى هذا الكلام حتى ارتقيت فوق صخرة الجلجثة..هنا أشرقت شمس البر والشفاء في أجنحتها..

كانت أشعة الحب تنطلق حولي وتخترق أعماق نفسي ووجداني، وإذا بأدراني تتلاشي، وجراحي تندمل، وأحزاني تتبدد، وهمومي تختفي، وقيودي تتحطم.. أحسست بالحياة تدب فيّ، وكأنما خُلقت من جديد، .. هنا نظرت إلى الزنبقة في امتنان وقلت إن هذه الزهرة الصغيرة قد أحدثت انقلاباً خطيراً في حياتي، كل هذا فعلته بي دون أن تسأل، ولم تسألني من أنا ؟ لم تهتم بلون بشرتي، ولم تسألني عن هويتي أو عن عقيدتي، بينما أعيش في عالم التفرقة والتعصب.

أحسست بالسعادة لأني وجدت أن هذه الزنبقة الصغيرة تعطي لأجل العطاء، تجود لأجل الجود، تتجمل لأجل الجمال..لم أعرف كيف يتحقق هذا بينما العالم كله تسوده روح الأنانية والبغضة الكريهة..

هنا سمعت الزنبقة تقول، كيف أعيش حياة الأنانية وأنا لا أملك شيئاً من ذاتي؟..إن كل شيء أمتلكه هو عطية مجانية..لا فضل لي قط إذا كنت أنشر عطري وأشع بجمالي لكل من حولي..

على أني بالعطاء أحقق أهداف حياتي فأنا خلقت لأشهد لذاك الذي أوجدني

في الوجود وتفنن في صنعي لهذا الحد.

ففي العطاء أتحدث عن قدرته وحكمته ومحبته..

كما أنّي بالعطاء أجدّد قواي، هذا السر هو أعظم أسرار الحياة. وليت العالم كله يعرف أنّ الأنانية تدمر كل الحياة. فأنا إذا انغلقت على نفسي فإني بذلك أعيش في الظلال بعيدة عن الشمس والأمطار التي تعتمد عليها حياتي. أما حياة العطاء فإنها تدفعني لأنْ أفتّح وريقاتي، وأتطلع للعلاء لكي أكشف عن جمالي، وأنثر عطري هنا، إذا بالنسيم يرفعني أكثر إلى العلاء وأشعة الشمس تتغلغل أكثر في أعماقي، وهكذا تتجدد قواي وتنتعش حياتي..

أعطوا تعطوا!

لكني بالعطاء أحاول أن أرد شيئاً من الديون التي تطوق عنقي..

فأنا آخذ من الشمس قوتي وأنشر في الوجود طيفي..

آخذ من الندى حيوتي وأنثر في الوجود عطري.

آخذ من الفراشات دفئي وأطعم الجميع من شهدي..

أعطوا تعطوا

على أني بالعطاء أصبح جزءاً هاماً من هذا الكون العظيم الفسيح. فالبرغم من صغر حجمي فأنا أحس أن الشمس والقمر والندى والطير، وكل الكون الذي أوجد فيه هو في حاجة إليّ كما أنا في حاجة إليه..

وهل استطاعت الشمس أن تعكس ذلك الطيف الجميل لولا وجودي؟!..

وهل كان النسيم ليحمل ذلك الشذى الحلو بدون عطري؟!

وهل كان النحل ليصنع ذلك الشهد اللذيذ بدون رحيقي؟!

فالكون وحدة متكاملة، تسير فيه الحياة كحلقات متصلة بعضها ببعض، لكن آه لو انفصمت عرى هذه الحلقات!!

هنا صمتت الزنبقة ونظرت إليّ في أسى كأنها تقول، وأنت أيها الإنسان ماذا فعلت بجشعك وأنانيتك؟

لقد قامت الحروب التي دمرت كل شيء بسبب أطماعك..وأغلقت على نفسك وأصبحت تعيش في كهوف الظلام بسبب أنانيتك..ألا تحطم هذه الجدران، وتمزق كل قيود الجشع والأنانية لتنعم بنسيم الحرية، وتختبر بنفسك كل النعم والبركات المذخرة لك في حياة الجود والعطاء..

هنا أخذت كلمات السيد تتردد في أعماقي "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع ٢٠ : ٣٥). "أعطوا تعطوا. كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي تكيلون به يكال لكم " (لو ٦:٣٨)

٦- دعوة للأمل والرجاء

أخذت أسبح مع الزنبقة في تلك الأجواء السماوية العليا التي أخذتني إليها، لا أريد أن أتركها أبداً..فجأة أستبدت بي المخاوف، وحل بي الألم عندما تكشف أمامي المصير البشع الذي ينتظرها، إنها أيام قليلة بعدها تذبل الزنبقة وتيبس وتتلاشى. فبعد قليل لابد لهذا الجمال أن يذوي وتسقط الزنبقة في التراب، ياللأسف..

هنا قلت لنفسي إذا ما الحكمة من الحياة كلها؟!..ما الفائدة من التجمل والارتقاء! .. وما الفائدة من قضاء العمر سعياً وراء شعارات خلابة إذا تساوى الجميع وصار مآلهم إلى التراب!..ألا يؤكد هذا قول الحكيم "الكل باطل وقبض الريح"..وأليس لهذا ترك الكثيرون حياة المبادىء والتدقيق وأصبح شعارهم "لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت"؟!

هنا رأيت الزنبقة تتألق أمامي كما لم تتألق من قبل. قالت، وهي تريد أن تهدئ من هواجسي، إني أريد أن أستعيد معك ما قاله الوحي بهذا الصدد "صوت قائل ناد. فقال بماذا أنادي. كل جسد عشب. وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأنّ نفخة الرب هبت عليه . حقاً الشعب عشب . يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.." (إشعيا ٤٠ : ٦ - ٨)

إن هذه الكلمات هى في حقيقتها أنشودة الأمل والرجاء لكل من في الوجود.

فالحياة إن طالت أو قصرت لابد وأن تنتهي. إنها كالبخار الذي يظهر قليلاً ثم يضمحل. وهذا قد يصيبنا باليأس والقنوط، ويدفع البعض لحياة التسيب

والفجور. لكني أرى أن قصر الحياة يجب أن يدفعنا لأن نعيش في ملء القوة والحكمة والتعقل، كيما نحقق في هذه الحياة القصيرة الأهداف النبيلة التي خُلقتنا من أجلها..

لكن هل تنتهي وتتلاشى الحياة حقاً؟

دعنا نسترجع كلمات الوحي ثانية. "كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه. حقاً الشعب عشب، يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة الرب إلهنا فتثبت إلى الأبد.."

"نفخة الرب"

"كلمة إلهنا"

"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" ويقول الكتاب أيضاً "ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه.."

إن نفخة الرب هي عينها كلمة إلهنا..هى نبع الحياة ونبع الخلود..أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد

ومن المذهل والعجيب أن يتساوى الشعب مع العشب. فالنبع واحد هو كلمة إلهنا أو نفخة الرب..والكل لابد وأن يعتريه الذبول لكننا لا نزول، ذلك لأنّ كلمة إلهنا التي بداخلنا هي التي تثبت إلى الأبد. إن كلمة إلهنا التي أوجدتنا هي التي تحفظنا وتعطينا طابع الخلود لذا فأنا قد أذوى من الخارج لكني أبقى نضرة من الداخل، قد أختفى من مكاني في الظاهر لكني باقية في صورة أخرى أبد الدهر..ليس ذلك فقط بل كل إشعاعات جمالي وكل أريج عطري كل هذا

لا يمكن أن يتبدد أبداً..

إني خالدة خلود كلمة إلهي..

هذه هى أعظم حكمة في الوجود. لكن الأعظم من ذلك فأني عندما أختفي فإني أتطور. فالحياة حلقات متصلة بعضها ببعض. وأنا لا يهمني مظهري الخارجي، بل يهمني أن تتواصل حلقات الحياة كما تتدفق ينابيع المياه..

ومن المبهج أن كل طور من أطوار الحياة له مجده وجماله. وهكذا فإني بانتقالي من مرحلة إلى أخرى إنما أتحول من مجدٍ إلى مجد ومن جمال إلى جمال.

ومع أن الجمال قيمة عظيمة من قيم الحياة لكنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتفوق على الحياة نفسها. لذا فإني أسعد وأبتهج عندما أذبل لأني بذلك أتحول إلى بذار صغيرة قد لا تراها من فرط صغرها، وأعترف أن لا صورة لها أو جمال لكن هذه البذار تحمل بداخلها كل مقومات الحياة. والأعجب من ذلك أن لها القدرة عندما ندفنها في الأرض أن تدفع بجذورها إلى الأعماق وترقى بسيقانها إلى العلاء لتنشر الزهور في كل الربوع..

وهكذا فإني أبتهج عندما أذبل لأني لا أموت كما يعتقد البعض لكنني أنشر الزهور في كل الوجود..

نعم، أنشر الورود في كل الوجود:

الموت لي ربح

٧- دعوة للراحة والغناء

• أنثر الزهور في كل الربوع

كان هذا هو هدف الزنبقة في الحياة، هدف ما أعظمه وما أنبله..

وبعد وأنا شارد في تأملاتي هبّ النسيم على الحقول، ورأيت زنابق الوادي تتمايل في نشوة غامرة، وسمعت حفيف أوراقها، وكأنها تصفق. هنا قلت لماذا تصفق الزنبقة، وما الداعي لكل هذه الغبطة والابتهاج؟!

فالسعادة لا تتأتى إلا بتحقيق أهداف عظيمة كبيرة في الحياة ، وها هي

الزنبقة نبتة صغيرة وسط عالم مليء بالأشجار الضخمة والزهور اليانعة. أما الزنبقة فلا نلحظها إلا إذا بحثنا عنها..

استمرت الزنبقة في التمايل في ابتهاج وسرور، وسمعتها تقول: ليست السعادة في امتلاك الأشياء الكبيرة العظيمة مع أني أمتلك منها الكثير. لكن السعادة تتأتي من تحقيق الأهداف النبيلة في الحياة. فأنا أحيا لأنشر الجمال، وأدعو للطهر والنقاء، وأنادي بالحب والإخاء، وأحث على الجود والعطاء، وأغني أناشيد الأمل والرجاء ، وأنا أدعو لهذه الأهداف النبيلة بطريقة جذابة يكفي أنك صرفت الوقت الطويل في التأمل فيّ دون ملل..

انظر إلى الجبال الشامخة الشاهقة، إنها تحدثك عن العظمة والجلال، لكنها في نفس الوقت تصيبك بالرهبة والوجل. وانظر إلى الغابات الجميلة الرائعة إنها تولّد فيك أحاسيس البهجة والانبهار، لكنها أحاسيس مشوبة بمشاعر

التوجّس والحذر. أما أنا فجمالي يعتمد على الرقة والبساطة ويولّد أحاسيس الراحة والسعادة. وفوق كل هذا، أكشف عن رقة ووداعة سيدي الذي قال عن نفسه "أني وديع..".

ولا شك عندي أن سيدي عندما ارتقى فوق الجبل وجلس بكل اتضاع فوق الحشائش أنه يريد لكل إنسان أن يرتقي معه فوق الجبل ليلتقي بي هناك. من فوق الجبل نادى سيدي قائلاً "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (متى ١١ : ٢٨ - ٢٩) .

أخذت الزنبقة تسترسل في حديثها وتقول: أنا لا أنسى قط يوم أن جلس سيدي بكل اتضاع فوق الحشائش وكأنَّ به ينادي البشرية كلها قائلاً تعالوا إلى..تعالوا إلى عرشي فوق الجبل وسط الحشائش والزنابق والورود..هكذا أردت أن يكون عرشي مفتوحاً وجذاباً لأن تأتوا وتهرعوا إليَّ.

في هذه المرة لن تسمعوا أصوات أبواق ورعود..لن تروا دخاناً أو ناراً..

لن تحسوا بزلازل أو تحطم الصخور..كلا..كلا..لكني أردت أن تأتوا وتتأكدوا أن الطريق مفتوح إلى عرشي..مفتوح إلى قلبي ..

تعالوا إلى..وأنا أريحكم..

أخذت هذه الكلمات تتردد في أعماقي وتجد لها صدىً عميقاً في داخلي. فقد كنت أشعر بجبال الهموم تسحق نفسي ونيران التجارب تحدق بكل كياني. لكني عندما سمعت صوت يسوع الحلو يقول "تعالوا إلى، إذا بجبال الهموم تزول ونيران التجارب تخمد، وأحسست بالراحة والسعادة تغمران قلبي..

لم أعرف كيف حدث هذا. كان صوت يسوع له نبرة سحرية أذابت كل جبال الهموم، وبددت ظلمات الأحزان وأشرقت على نفسي بفجر جديد. آه، ما أعذب هذا النداء: تعالوا إليَّ وأنا أريحكم..

لكني فجأة استيقظت من هذا الحلم الجميل وقلت لنفسي أنه مجرد حلم..لقد استرحت لأني هربت بعيداً عن العالم وصعدت فوق الجبل. ماذا لو عدت ثانية إلى وديان التجارب والآلام؟!

هنا قالت الزنبقة: أن يسوع يعطينا راحة حقيقية في كل ظروف الحياة. نعم أنه يرفعنا فوق الجبل لنتنسم نسيم السماء لكنه ينزل معنا إلى الوديان ليعطينا الراحة حتى وسط التجارب والصعوبات.

أن يسوع قادر أن يعطينا الراحة وسط العناء.

لم أعرف كيف، لكني أخذت أنظر إلى يسوع. كان على طول الطريق وجهه مشرقاً يسير على أنغام أنشودة عذبة كان يرددها في الليل والنهار. كانت هذه الأنشودة تقول:

"روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين

أرسلني لأشفي المنكسري القلوب

لأنادي للمأسورين بالإطلاق

وللعمي بالبصر

وأرسل المنسحقين في الحرية

وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا ٤ : ١٨ - ١٩)

كانت حياة يسوع هي تلك الأنشودة العجيبة الفريدة التي رددت ألحان السماء.

لم يكن في هذه السيمفونية العذبة أي نغم عالمي أو دنيوي. وهكذا هيمنت هذه الأنشودة بسحرها على الجميع، وملأت قلوبهم بالسعادة والراحة.

وهل من عجيب إذا زحمت الجموع يسوع وهرعت إليه من كل حدب وصوب. كل يحاول أن يمسك بهدب ثوبه، أو أن يرتمي عند قدميه. وأن يجد مكاناً له في حضنه، أو يناديه من بعيد ارحمني يا ابن داود..ارحمني يا ابن داود..ارحمني يا ابن داود..

كانت الموسيقى تعزف في صدق..كان كل نداء للراحة من قبل نداءاً زائفاً، سرعان ما يكتشف الإنسان زيفه. لكن نداء يسوع هذا كان نداءاً صادقاً..

كان يسوع بحبه يذوب وسط الجماهير،كان يلبي كل احتياجاتهم. كانت أنشودته العذبة تحي الراقدين، وتشدد المنحنين وتشفي المقعدين. لذا عندما أرسل يوحنا المعمدان تلميذيه إلى يسوع قائلاً: "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر" قال لهما يسوع "اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبي لمن لا يعثر فيّ" (لوقا ٧ : ٢٢ - ٢٣)

ما أعجب وما أعظم ما فعلته هذه القيثارة السماوية في الجماهير. كان يسوع في كل خطوة مشاها يؤكد ما قاله عن نفسه "الحق الحق أقول لكم تأتي ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥:٢٥)

هذه القيثارة العجيبة هى القيثارة الوحيدة التي يخترق صوتها آذان الأموات وإذا بالسامعين يحيون. .كان يسوع على طول الطريق يقيم الموتى ويرسل المنسحقين في الحرية. ويبعث بالحياة والرجاء في الصدور وهكذا انفتحت أعين البشرية على ذلك الإنسان الوديع العجيب الذي كان الحب مجسداً والحب متحركاً والحب مكافحاً والحب قوياً باذلاً مضحياً. إنه نبع متدفق شمل العالم في كل اتجاه وعلى طول الزمان.

أخذت أتأمل يسوع، كان في كل ما يصنعه ليس مجرد بوق أو قيثارة تأتي بأهدافها بطريقة سحرية. لكن كانت هناك قوة تخرج منه تشفي كل مرض في الشعب. كانت هناك قوة تخرج منه لكن قواه لم تستنفذ. كان في كفاحه لا يكل ولا يعيا. كانت قواه متجددة لذا كانت الأنشودة مستمرة طوال الليل والنهار.

أخذت أبحث عن السر. .سر هذه المعجزة التي استطاع يسوع أن يحققها في حياته. الطاقة المتجددة على طول الطريق. الطاقة التي تعطي الراحة وسط العناء.

كان يسوع يسير طول الطريق على أنغام تلك الأنشودة الفريدة "روح السيد الرب علىّ، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين" فجأة اكتشفت السر " روح الرب. ." لقد كان يسوع قيثارة ممسوحة ومملوءة بروح السيد الرب.

وتذكرت ما قاله الرب قديماً "أما منتظرو الرب فيجددون قوة يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون. . " (إشعياء ٤٠ : ٣١)

إن روح الرب هو مصدر تلك الطاقة الفريدة التي لا تنضب أبداً وهي قادرة

أن تدفع الإنسان دائماً إلى الأمام "يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون".

وإن كان روح الرب قد أخذ أشكالاً متنوعة على هيئة نار أو ريح لكن يسوع كان يبعث به إلى العالم على شكل أنغام سماوية عذبة "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦ : ٦٤) . لم يكن يسوع مجرد قيثارة جوفاء بل كان روح الرب مجسداً.

هنا أدركت أنه حتى تتحقق هذه المعجزة في حياتنا يجب أن نمتلىء بروح الرب حتى نتحول نحن أيضاً إلى قيثارة حب. فالحاجة ملحة لأن نتحول إلى قيثارات حب لنغني أغنية الأمل والرجاء لعالم يعيش في ظلام اليأس، وننشد أناشيد الحب لعالم غارق في بحار الكراهية.

ومن العجيب أن هذه القيثارة السماوية تصل إلى أهدافها بدون جلبة أو ضوضاء. فبطريقة سحرية، الأموات يسمعون، وبطريقة هادئة السامعون يحيون. بدون ضجيج الحياة تطرد الموت... والنور يطرد الظلام

"أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في . هكذا يحدث أعظم تغيير في الحياة في هدوء "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يوحنا ٣ : ٨)

هذا هو مفعول الحب السحري. الإحلال في صمت . التغيير في هدوء . وإذا بالإنسان يتحول إلى قيثارة حب دون أن يعرف كيف أو متى تم هكذا. كل ما يعرفه أن هناك حياة جديدة تدب في أعماقه. فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. أتحدث لا أنا بل المسيح يتحدث فيّ، أغني لا أنا بل المسيح يغني فيّ. هنا الحياة تصبح الحب والحب يصبح الحياة . هنا نتأنى ونترفق بدون مجهود. هنا

نصبر على كل شيء، ونحتمل كل شيء، ونرجو كل شيء بدون افتعال.

هكذا يتحول الإنسان على أنغام تلك القيثارة السماوية إلى قيثارة حب حية.

هذا ما أكدته العروس عندما قالت "مادام الملك في مجلسه أفاح ناردینی رائحته" (نشيد ١ : ٧)، وكأنها تقول لقد كان لي من قبل ناردين خاص بي، ناردين تفوح منه رائحة الكبرياء والأنانية والإباحية، أما الآن فلي ناردين آخر سماوي يعبق حياتي. تفوح منه رائحة النقاء ويعطي الإحساس بالسعادة والسلام.

ومن العجيب أن ذلك المايسترو الذي يعزف على قيثارته أروع ألحان السماء لا يتأفف من أن يحل داخل كيان أشر الخطاة ليعزف من داخله أرق وأعذب الألحان. بل أن المعجزة تزداد روعةً وجلالاً كلما كانت الآنية التي يحل فيها ضعيفة ومحطمة، هنا يفيح العطر بصورة رائعة، وهنا تتصاعد أجمل الألحان.

على أننا يجب أن نؤكد أن المفعول السحري الذي تأتيه تلك القيثارة السماوية هو لأنها تكشف عن أبعاد حب يسوع الذي يفوق المدارك والعقول. فلم يكن حب يسوع مجرد كلمات جوفاء بل كان عملاً خلاّقاً وكفاحاً مريراً وجهاداً شاقاً. كانت حياته تسير على أنغام سيمفونية عذبة تكشف عن الحب في أعماقه وقوته وأسراره وإصراره . حتى بعد أن رُفع على الصليب كان يسوع هو ملك الحب. لم أصدق نفسي عندما رأيته يبتسم من فوق الصليب للعالم من حوله. لقد نادى من هناك بالغفران للعالم كله وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة عذبة. وفي نهاية الصلب صاح "قد أكمل" وهو يتهلل. هكذا حّول يسوع الصليب إلى أعظم قيثارة في الوجود.

وحتى يتحول الإنسان إلى قيثارة حب يجب أن يستولى ذلك المايسترو العجيب على أعماق القلب والوجدان.

لقد وجه يسوع الدعوة عامة للجماهير كيما يأتوا إليه ليريحهم، لكنه من خلال هذه الدعوة كان يوجه دعوة خاصة لكل إنسان على حدة لأن يتحول إلى قيثارة حب.

اتبعني أنت.

ومن العجيب أن ذلك المايسترو يصل إلى أهدافه بطريقة هادئة لا تكاد تلحظها. فهو يدعونا كيما يريحنا وهو الذي يأخذنا في أحضانه..هو يدعونا للتوبة وهو الذي يتوّبنا إليه..هو ينادي اتبعني أنت، وهو الذي يجذبنا وراءه فنجري..وهو يقف باتضاع خارج الباب ويقرع ثم نجده يفتح الباب بطريقة سحرية ويدخل ويصنع منزلا..

دون أن تحس تجد يسوع يعيش بين الضلوع ويتغلغل داخل المشاعر والوجدان. هكذا بالتدريج تتحول إلى قيثارة حب!.

مادام الملك في مجلسه أفاح ناردينى رائحته.

كل هذا يحدث وسط سكون الليل وضجيج النهار بطريقة سحرية "حبيب الرب يسكن إليه آمناً يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن" (تث ٣٣: ١٢)

"بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم" (إشعياء ٣٠: ١٥)

حبيب الرب يسكن إليه آمناً..بالرجوع والسكون تخلصون.

فالقيثارة لها ألحان خاصة جميلة مفرحة ومعزية في سكون الليل. ولها أيضاً ألحان قوية رائعة طول النهار.

بل من العجيب أيضاً أن ذلك المايسترو القدير يقودنا وسط زوابع وعواصف الحياة كي يعّلمنا كيف نعزف هناك أعظم سيمفونيات الحياة. إنه لا يكتفي بأن يقودنا وسط السهول ويأخذنا إلى مياه الراحة فقط، لكن النصرة الكاملة تتحقق عندما يقودنا وسط بحار الحياة ولججها العاتية، حتى نتعلم ونحن هناك كيف نعزف على قيثارة الحب أعذب ألحان السماء.

إن هذا الفن الرفيع يحتاج إلى قيادة خاصة، حتى نعرف كيف نعزف داخل جثسيماني حتى فوق الجلجثة ألحان النصرة والرجاء. إن يسوع وحده هو الذي "يؤتي الأغاني في الليل" (أيوب ٣٥ : ١٠)

رأيته في جثسيماني جاثياً. كانت عيناه دامعتين. لكنه وهو هناك كان يعزف على قيثارته. كان النغم حزيناً رقيقاً لكنه كان ملوءه الأمل. كانت القيثارة تقول "يأبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متى ٢٦ : ٣٩).

على أن أقوى الألحان جاءت في عمق الجلجثة، وسط الظلام الدامس هناك سمعته، يصرخ ويقول "إلهي..إلهي.. لماذا تركتني؟.." كانت هذه الصرخة المرعبة في حقيقتها تحمل أعظم وأروع الألحان..إن صداها مازال يغلّف العالم بنغم رائع حزين ينطق بالصدق ويجسم عمق الجهاد وقسوة الفراق، وفوق الكل يكشف قمماً رائعة من الحب والوفاء.

لذا فإن هذه الصرخة المدوية التي خرجت من ذلك القلب الجريح هى أغلى

الأنغام قاطبة وأقواها ، ومازالت تغلف عالمنا الحزين وتبعث فيه بنور الأمل والرجاء لكل وحيد ومضطهد وبائس ومسكين.

حقاً إن ألحان الطرب ما أرخصها ، لكن الألحان التي تولد روح التعزية ما أعظمها وما أغلاها. أنه يؤتي الأغاني في الليل على حساب نفسه.

هكذا شرب يسوع الكأس حتى آخرها فوق الصليب على لحن حزين يبعث إلى الخشوع والسجود. وهو هناك يعلّمنا كيف نشرب الكأس ونحن نردد نفس النغم الحزين في ألم لكن في صمود ، في تعب لكن في تحدٍ حتى ينبلج النهار.

إن يسوع يأتي بالأغاني في الليل بمثال حياته. وهل كان يسوع ليقدر أن يبشر المساكين ويعصب منكسري القلوب إلا بعد أن سمعوه فوق الصليب يغني بقيثارته أعظم وأروع الألحان؟!

وهكذا فإن هذه القيثارة العجيبة الفريدة وإن كانت قد تحطمت وتمزقت لكنها ظلت فوق الصليب تبعث بألحانها الخالدة إلى البشرية المحطمة البائسة حاملة لها أنشودة العزاء والرجاء.

على أننا يجب أن ندرك أن قيثارة الحب كانت تعزف ألحانها للبشرية البائسة ومن قديم الزمان. في ليل البشرية الطويل كانت القيثارة تعزف بقوة لتقوي الهمم وتشدد العزائم وتولد البسمة والفرحة حتى ينبلج النهار.

ما أعذب وما أكثر الأغاني التي كانت تنشدها القيثارة هذه. سمعتها مرة تقول:

"يقودك الرب على الدوام

ويشبع في الجدوب نفسك

وينشط عظامك

فتصير كجنة ريا

وكنبع مياه لا تنقطع مياهه" (إشعياء ٥٨ : ١١)

هل توجد أنشودة أعذب وأجمل من هذه؟!..إنها تحمل مفاجآت عجيبة. فالمايسترو العجيب بعد أن يمسك بزمام القيادة بنفسه إذ به يجتاز بنا في الجدوب، التي يشبعنا في وسطها، ويقودنا وسط التجارب والصعوبات التي فيها ينشط عظامنا..وهكذا، وهكذا فقط نتحول إلى جنة ريا، ينبوع مياه لا تنقطع مياهه.

آه، ما أطول ليالي التجارب، لكن كل ليالي التجارب البشرية لا توزاي شيئاً أمام تجارب الجلجثة. إن الوقت الذي قضاه يسوع في جثسيماني وفوق الجلجثة هو وقت قصير جداً، لكنه طويل طول الزمن. وهنا يجب أن نعترف أن يسوع ذاق فوق الجلجثة من الأهوال ما يفوق كل ما عاناه ويعانيه البشر على مدى الأيام. ومع ذلك غنَّى يسوع هناك ليعلمنا كيف نتغنى نحن أيضاً في كل ظلمات الحياة.

لكن حتى نتعلم هذا الدرس العظيم فإننا نحتاج إلى تدريبات طويلة وإلى قيادة خاصة. لذا، قد يبدو عجيباً أنه بعد أن نسلم للرب زمام القيادة إذ به يقودنا في مارة ووسط البراري والقفار، ونحن لا نعلم أنه بكل هذا يشد أوتار القلوب، ويسمعنا دقات قلبه وتنهدات أنفاسه فوق الصليب. هنا، وهنا فقط

تتولد الألحان في أعماق الوجدان. وهنا نتحول إلى جنة ريا. إلى ينبوع مياه لا تنقطع مياهه.

آه، ما أحلى صوت المياه وهي تندفع من جوف الصخور ووسط صحاري الحياة. هنا تدمع العين من شدة الفرح.

روح الرب عليَّ لأنه مسحني..يقودك الرب على الدوام..

ماذا تكون الحياة بدون قيادة روح الرب. إنها تتحول إلى أغنية نشاز، معانيها منحطّة. هنا يحلو لنا أن نردد تلك السيمفونية الإلهية العذبة ونرى كيف إنها تسمو بالنفس وتعطر الحياة

"روح الرب علي

لأنه مسحني لأبشر المساكين

أرسلني لأشفي منكسري القلوب

لأنادي للمأسورين بالإطلاق

وللعمي بالبصر

وأرسل المنسحقين في الحرية

وأكرز بسنة الرب المقبولة"

وهنا يحلو لنا أيضاً أن نستمع إلى أنشودة أخرى أنشدتها قيثارة السماء منذ القديم.

"لا تخف لأني فديتك

دعوتك باسمك. أنت لي

إذا اجتزت في المياه فأنا معك

وفي الأنهار فلا تغمرك

إذا مشيت في النار فلا تلذع

واللهيب لا يحرقك

لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك

إذ صرت عزيزاً في عينيّ مكرّما

وأنا قد أحببتك (اش ٤٣ : ١-٤)

هنا يجب أن نتأكد أن هذه الأنشودة العجيبة الفريدة لم ترددها الملائكة، لكن لحّنها وأنشدها الرب نفسه.

وهو يؤكد هذا إذ إنه في مطلعها يقول "والآن هكذا يقول الرب خالقك يايعقوب وجابلك يا إسرائيل لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك أنت لي" (إشعياء ٤٣ : ١)

ونحن لو لم نر الرب معلقاً فوق الجلجثة لقلنا أن هذه الأنشودة مجرد خرافات لشعب يحاول أن يسخّر الله لخدمته.

لكن هذه الأنشودة العذبة هى أنشودة حقيقية، وإن تكن معانيها فوق المدارك والعقول. لقد اختار الله إسرائيل ليس لخير فيه. فإسرائيل هو شعب مدلل متمرد لم يستحق إلا أن يجلد ويسحق وينساه الله ليموت في البرية.

على أننا نجد أن هذا الولد الشقي الجاحد هو في حقيقته كل شخص منا. ومن خلال إسرائيل المدلل التائه التافه الخاطيء، يتحدث الله لكل إنسان مهما كان، ليؤكد له حبه الذي لا مثيل له.

وحتى نكتشف حب الله المنقطع النظير يجب أن نستعيد هذه الأنشودة الجميلة ونتوقف عند كل مقطع منها. إنها أنشودة حب رائعة. أنشدها السيد منذ القديم حتى يؤكد يهوه أنه جبار في القتال وهو أيضاً عظيم في الحب.

إن قيثارة الحب هى قيثارة إلهية. أن قيثارة الحب هي قيثارة أب. ولا يمكن للقيثارة، ولا للألحان، ولا للكلمات أن تعبر عما يجيش في قلب ذلك الآب. لكن لنسمع تلك القيثارة وهى تحاول أن تكشف عن أعماق قلب الآب. وهى تقول "لما كان إسرائيل غلاماً أحببته"

أحببته..

هذه الكلمة الغالية لا يمكن لنا أن ندرك أبعادها، لكننا سوف نكتشف أن حب الآب هذا لم تقدر الأيام أو السنين أن تستنزفه. كان حبه على طول الطريق يتدفق بلا حساب. ولننظر إلى حب الحبيب عندما يقول "إن قسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفر، وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه" (تث ٣٢ : ٩ ، ١٠). هذا هو حب الحبيب، لكن هذا الحب قوبل بالجحود والنكران "فسمن يشرون ورفس..فرفض الإله الذي عمله..الصخر الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبدأك" (تث ٣٢ : ١٥ ، ١٨)

إن قصة إسرائيل تكشف أعماق قلب الإله الحي الذي قوبل بالجحود البشري.

على أن أحجار الجحود لم تقدر أن تصده أو تستنزفه.

ولنرجع ثانية إلى تلك القيثارة السماوية لنكتشف أبعاد الحب الذي أغدقه على إسرائيل وما زال يغدقة على بني الإنسان، لنسمع نبرات الحب تقول "لا تخف .."

أنه شيء رائع يفوق كل وصف أن نسمع قيثارة الأب السماوي تشدو في حنان عجيب، تطرد الخوف من قلب الإنسان، وتكشف عن الوسائل الحقيقية التي يستخدمها الله ليحقق هذا الهدف العظيم. لذا فهو يؤكد ويقول "لا تخف لأني فديتك ..دعوتك باسمك..أنت لي..أنا معك..أنا مخلصك..إذ صرت عزيزاً في عيني مكرماً..أنا قد أحببتك.."

"المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (يو ٤ : ١٨)

أنا قد أحببتك

ولنحاول أن نستكشف أبعاد هذه المحبة، وفي هذه المحاولة نحن نستكشف قلب الآب!

أنا فديتك

على ألحان هذه السيمفونية العجيبة نحاول أن نستكشف أبعاد هذه المحبة الكاملة. عندما قال الأب لإسرائيل "أنا فديتك" لم يدرك أحد في وقتها ما مقدار الثمن الفادح الذي دفع فيها. لكن الرسول جاء أخيراً ليوضح لنا كل هذا دفعة واحدة وفي آية واحدة "عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء.

بـل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح. معـروفـاً سابقاً قبل تأسيس العالم" (١بط ١ : ١٨ - ٢٠)

أنا فديتك..بدم المسيح..

بهذه السيمفونية الرائعة يمكن لعقولنا المحدودة أن تستكشف أبعاد حب الآب الغير المحدود. ويمكنها أيضاً أن تعرف أبعاد ذلك الخلاص الذي يشمل كل جنبات الحياة.

أنا فديتك

أنا معك..ذلك لأني اشتريتك بالدم.

أنت لي.لذلك أنا أدعوك باسمك، لن أهملك، ولن أتركك.صحيح وأنت في رفقتي أجيزك في الأنهار لكنك ستجد إنها لا يمكن أن تغمرك.صحيح مع كونك أنت معي سأقودك في اللهيب لكن من المدهش أن هذا اللهيب لا يمكن أن يحرقك. وفي كل هذا تسمع الصوت يتردد مؤكداً "إذ صرت عزيزاً في عيني مكرماً وأنا قد أحببتك.."

أنا فديتك

فجأة توقفت الألحان الشجية العذبة وأخذت القيثارة تعزف ألحانا عنيفة مرعبة كأنها صادرة من أعماق الجحيم. من وسط هذا الجحيم سمعت صوته الرقيق يقول: "أنا عطشان..أنا عطشان..يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي.."

هنا أدركت كل شيء..لقد هانت عليه نفسه أما نحن فلا..لقد تحمل هو

عوضاً عنا كل أهوال الدينونة، واكتوى بالنيران حتى لا نحترق نحن. هذه هي حقيقة الفداء. لذا فإنه من جوف اللهيب يقول مؤكداً: "قد صرت عزيزاً في عيني مكرماً وأنا قد أحببتك"

وبعد. ماذا صنعت تلك القيثارة العجيبة في دنيانا ؟ لقد أقامت الراقدين تحت التراب وصنعت منهم سحابة عجيبة من الشهود "الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء. أخذت نساء أمواتهن بقيامة. وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضاً وحبس. رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. (عبرانيين ١١ : ٣٣ - ٣٨)

ونحن في كل هذا نشم عبق الجلجثة ونرى كيف صاغت تلك القيثارة العجيبة أبطال الإيمان في كل العصور. الذين ساروا خلف سيدهم إلى الجلجثة وهم يعزفون بالحياة أروع سيمفونية في الوجود، وينشدون أناشيد الصمود والغلبة. في كل خطوة كان شعارهم دائماً "لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل أني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح. لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فيلبي ٣:٧-١٠)

"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ"

. فما أحياه في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢ : ٢٠)

وهكذا تستمر سيمفونية الحب الظافر الصامد المنتصر حتى تأتي إلى ذروتها وتقول: "من سيفصلني عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للذبح. ولكن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حيوة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩)

مادام الملك في مجلسه أفاح نارديني رائحته

ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم

فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه

تأملوا زنابق الحقل

تحولوا إلى قيثارة حب

قيثارات حية

في نهاية الكتاب يكتشف القاريء أن الرب يسوع - الكلمة المتجسد- هو القيثارة السماوية التي عزفت لأهل الأرض أعذب ألحان الحب. وجاء العزف متصلاً كنبع يتدفق بالليل والنهار لينعش البشرية المنهارة، يضمد جراحها، ويغسلها من أدرانها. لم يكن الحب أنشودة تتبدد في الهواء، بل كان عملاً جاداً يجدد الحياة.

لقد استطاعت هذه القيثارة، على مدى السنين، أن تحي الملايين من النفوس الذين استحوذت على عقولهم وقلوبهم، فساروا على نفس الدرب يعزفون بالحياة أغلى أناشيد الحب وأعذبها.

وأريد أن أؤكد أن العزف بالحياة ليس أمراً سهلاً. فهو يحتاج إلى الكثير والكثير من التكريس والتدقيق وإنكار الذات والقدرة على الارتقاء فوق العالم والآلام.

وقد وجدت أنه وإن كان العزف المنفرد له مذاقه الخاص، لكن الاستماع إلى فريق من العازفين يولّد الانبهار.

وهنا أريد أن أؤكد أن هذه الكتابة جاءت ملهمة بحياة كثيرين من الناس الذين عزفوا بحياتهم أروع أناشيد الحب، والذين كنت أود أن أذكرهم بكل التقدير بأسمائهم لكن الوقت لا يسعفني. وإن كان ديني الأول هو لأسرتي وبالأخص لوالدي الراحل القس بولس مرقس لكني أريد أن أعترف بديني الكبير لكنيستي العامة والخاصة، لذا فإني أكتب وأذكر بكل التقدير بعض المؤسسات التي اندمجت معها سنيناً طويلة وذقت فيها عمق غنى محبة المسيح.وعن طريق هذه المؤسسات أود أن أبعث تقديري إلى كل من أعرفهم ومن لا أعرفهم

الهيئة القبطية الإنجيلية
للخـدمات الاجتماعية

لقد تشرفت أن أكون أحد أعضاء الهيئة على مدى سنين طويلة. هنا وجدت قيثارة الحب على هيئة شجرة وارفة الظلال تبعث بأريجها الحلو في كل مكان. شاهدت على مدى السنين أغصانها تنمو وتتفرع في هدوء ودون ضجيج، وكأن هذا النمو لا يحتاج إلى الكثير من التعب والبذل والكفاح. وجدت كل غصن يصدح بأعذب الألحان وأجمل المعاني. ولا يمكن هنا أن نذكر الأنشطة المختلفة التي امتدت إليها خدمات هذه الهيئة المباركة. لكن أريد أن أقدم التحية لأفراد هذه الأسرة الكبيرة المتحابة التي استطاعت أن تكوّن فرقة ترتيل رائعة تنشد في الحياة وبالحياة أعذب أناشيد الحب.

وأريد هنا أن أسجل الشكر لله أولاً والتقدير العظيم لمؤسس هذه الهيئة المباركة

الراحل الكريم

الدكتور القس صموئيل حبيب

الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة
الجمعية المسيحية لخدمة الإنسان

في هذه الكنيسة وجدت قيثارة الحب على هيئة منارة مشتعلة ترسل بأنوارها الساطعة في كل اتجاه. كل هذا يتم في هدوء ويسر دون أن يحس أحد مع أن هذه الأنوار الساطعة تحتاج لطاقة جبارة لا يمكن أن تأتي إلا من اشتعال النفوس والتهاب القلوب، والتفاني في العمل والتكريس المستمر والصلاة بلجاجة، والارتفاع فوق العالم، والارتقاء فوق كل ضعف ومرض وألم حتى تبقى المنارة متوهجة والرسالة متصلة. وإني هنا أحيي شعب هذه الكرمة المباركة والأسره المتحابة وإلى مجلس إدارتها وإلى راعيها المحبوب

الدكتور القس مكرم نجيب

المركز الطبي الإنجيلي
بالقاهرة

هنا اكتشف قيثارة حب عجيبة. كانت قيثارة إيمانية تصدح وسط الخرب. وكان اللحن يردد "مسحني لأشفي منكسري القلوب" كان اللحن خافتاً لكنه كان متصلاً على مدى السنين. كانت ملحمة إيمانية محتدمة في سكون. وإذا بكل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة تنخفض والمعوج صار مستقيماً والعراقيب أصبحت سهلة. من وسط الخرب قام المركز الطبي الإنجيلي ليشع برسالة المحبة في كل اتجاه

على مدى عشرين عاماً كانت الملحمة مستمرة اشترك فيها الكثيرون الذين أعرفهم، والذين لا أعرفهم. وإني هنا أسجل بالتقدير كل من شارك في هذا العمل الخلاق. وعلى رأس هذه الأسرة المباركة شريك الكفاح الأخ والصديق

الأستاذ الدكتور فؤاد بخيت

رئيس مجلس الإدارة

دير القديس الأنبا مقار

هنا اكتشفت قيثارة حب من نوع فريد، على هيئة قارورة طيب. كل نفس هناك قيثارة حب فواحة عطرها يفوح إلى مدى بعيد. وحتى يفوح العطر لا بد وأن تنكسر القارورة لينسكب الناردين الكثير الثمن عند قدمي الحبيب.

على أن الكسر كان اختيارياً، وكان الكسر هو قمة التكريس، وهو كسر القيود، فتحررت النفوس من كل قيود عالمية ودنيوية، فتحولت إلى جنات ريا وينابيع مياه لا تنقطع مياهها.

وهكذا تدفقت ينابيع الخير في الصحراء ولتتحول تلك البقعة الجرداء إلى راحة مقدسة تستريح فيها النفوس، ومنارة عالية تشع بأنوارها إلى كل بقاع العالم.

ولا أعتقد أنه يمكن لإنسان ما أن يكتب كل شيء عن أولئك الأبطال الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه الأسود. أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب.." لقد كان كل واحد منهم قيثارة حب خاصة تنشد أناشيد الحب والولاء للفادي المسيح.

أردت في نهاية هذا الكتاب أن أرسل تحية عاطرة لهؤلاء القديسين وبالأخص إلى.

قداسة الأب متى المسكين

قيثارة الصليب

هل سمعتم منذ الأزل صوته ... كيف سرى في السهول نداه
كان حديثه حديث حب ... صادق رددت الدنيا صداه
وما كان القلب ليغلق جناحيه ... على حب متدفق كالمياه
وما استطاع الورد أن يخفي ... عبيره وإن احترق فاح شذاه
إنه الصليب ما أعذب نداءه ... لعالم قد ضل خطاه
فكم استراحت نفوس ونالت ... برءها في صليب ملطخ بدماه

***** *****

قيثارة الصليب قيثارتي ... تعالوا واسمعوا الشدو العجيب
قيثارة الصليب وماذا غنت ... ماذا قالت للقلب الكئيب
ياأبتاه اغفر لهم ... قالها سيدي بالدم السكيب
فاتحاً باب الخلود ... باب النجاه من هم مذيب
هل سمعتم أعذب نشيد ... عزفه الفادي فوق الصليب
يا قوم قوموا وانظروا ... ما أعظم حب الحبيب

***** *****

هيا تعالوا إلى الجلجثة ... لتروا كيف مات البار
كيف صلى لصالبيه ... وهم يدقونه بالمسمار

فتفجر في الصخر ماء وجرت في الوعور أنهار
وتمزق حجاب العداوة فصارت الظلمة نهار
هيا إلى الجلجثة لتروا تاج شوك إكليل فخار
لتروا كيف سال الدم ظفر يسوع باقتدار

***** *****

أيها السائح ماذا أنت راجٍ في المسير
هل تبتغي في الوجود مالاً تبقى له عبداً أسير
ألا تعلم أن للمال جناحاً به فجأة من يدك يطير
كن قيثارة حب تعصب بها القلب الكسير
فالحب سر الوجود يجعل القبر ينير
عند أقدام صليب الحب تبصر عين الضرير

لقد محا دم الفادى العداوة،

فنبتت زهور الحب فوق صخور الكراهية..

زهور الصبر فوق أشواك الآلام ..

زهور التعفف فوق أوحال الخطايا والآثام ..

عند أقدام صليب الحب تفتحت أجمل وأروع الزهور.

كن قيثارة حب ... تعصب بها القلب الكسير

فالحب سر الوجود .... سرٌّ ينير ويحيى الضمير

عند أقدام صليب الحب ... تبصر عين الضرير



دار الثقافة

١٠١٠٣٣٢٥